تعليقات ومناقشات

قول مستدرك
على صيغة "تَفعال" المصدرية في العربيّة

د. عودة خليل أبو عودة
قسم اللغة العربية- كلية الآداب
جامعة الزراقاء الأهلية

كنت منذ بعض الوقت شَغوفاً بجمع ما أقف عليه من شواهد شعرية، ونصوص نثرية ترد فيها صيغة (تَفعال) بفتح التاء وبكسرها. وكنت أشعر بجمال اللغة عند نطق هذه الصيغة في شواهدها المتعددة، لأنها من صميم العربيّة، وأرى أن من يقولها في شعره أو نثره إنما هو من صميم العرب ذوي السليقة الصافية، والفصاحة الفطرية. إضافة إلى ما توحي به صيغة تفعال (بفتح التاء) من المبالغة في الفعل. وأقول (المبالغة) بدلالتها التراثية، لا بما أصبح يفهم منها في استعمال الناس في حياتهم اليوميّة.

ثم إني فوجئت بسبحٍ وافٍ مستقصٍ حول هذه الصيغة أعدّه الأستاذ الدكتور محمد جبار المعيبد، ونَشَرَهُ في مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني في عددها الثالث والستين، تموز- كانون الأول عام ٢٠٠٢، حيث ذكر مئة وستة أمثلة على هذه الصيغة بدأها بتَأخاذ من الفعل أَخَذَ وانتهى بتَمْيال من ميل. وقد ذكر الأستاذ الباحث أن هذا هو القسم الأول من بحثه.

قرأت البحث براحة كبيرة، ووجدتُ أن الأمثلةَ التي أتى بها الأستاذ تفوق كثيراً ما كنت جمعته. وعندما قرأت (القسم الأول) توقعت أن يلحق به قسم ثانٍ، وأنه ربما يكون في العدد التالي من المجلة، فانتظرتُ، وقد

كـــان، إذ نُشر القسم الثاني من البحث في العدد الرابع والستين من المجلة. وقد اشتمل على ثلاثةٍ وثلاثين مصدراً على هذه الصيغة، إضافة إلى سبعة عشر مصدراً آخر ذكر أنها مما تفرد به الشعراء العباسيون.

وقـــد ســـرني أن الباحث قال في تمهيده الموجز أمام القسم الأول من بحثه: "ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الفهرس لا يضم كل صيغ التَّفعال في شـــواهد الشعر، وإنما يضم الشواهد التي وقفت عليها من خلال استقرائي دواويـــن الشـــعر والمصـــادر الأخرى. فالاستدراك عليه مني ومن جميع الباحثين قائم ومفتوح".(١)

وقـــد شـــجعني تواضـــعُ العلماءِ هذا على أن أسجل فيما يلي بعض المصـــادر التـــي وردت على هذه الصيغة (تَفعال) ولم تَرِدْ في هذا البحث بقســـميه، وبعـــض الشـــواهد الشعرية والنثرية التي ذكرت هذه الصيغة، أضـــيفها إلى الشواهد التي وردت في ذلك البحث القيم. راجياً أن أوفق في بحث آخر في عرض الأسماء التي وردت على وزن (تِفعال) بكسر التاء. وبخاصـــةٍ أن بعض المصادر ذكرت أنه لم يرد في كلام العرب على هذا الوزن سوى لفظين هما تِبيان وتِلقاء. وعلى الرغم من أن بعض المصادر كشافية ابن الحاجب والمزهر للسيوطي ذكرت نيفاً وعشرين اسماً على هذا الـــوزن إلا أن الـــذي شاع في كتب اللغة أنه لم يرد عليه سوى (تِبيان) و (تِلقـــاء) كأن المصادر والمراجع أخذت بداية النص الوارد في المزهر ولم تثبت سائره. جاء في المزهر: (٢)

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٦٣، ص٩٧.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج٢ ص٩٢.

"قال سلامة الأنباري في شرح المقامات: كل ما ورد عن العرب من المصادر على تفعال فهو بفتح التاء إلا لفظتين، وهما تِبيان وتِلقاء"[1]

ويبدو لي أن كلام الأنباري دقيق وصحيح، ذلك أنه يتحدث عن (المصادر). والمصادر غير الأسماء. وقد أدرك العلماء الفرق بين المصادر والأسماء في هذه المسألة وفي غيرها. جاء في المزهر في موضع آخر: "قال في الصحاح، قال أبو سعيد الضرير: قلت لأبي عمرو: ما الفرق بين تِفعال وتَفعال؟ فقال: تِفعال اسم وتَفعال مصدر"[2].

وإتماماً للفائدة أقول إن العرب أدركت الملمح الدلالي في هذه الصيغ وغيرها عندما تتبدل صيغ اشتقاقها. فإذا كان تَفعال -بفتح التاء- مصدراً، و -بكسرها- اسماً؛ فإن في المصدر معنى المبالغة في مصدر الثلاثي. جاء في شرح الشافية: "قال[3]: ونحوُ الترداد والتجوال والحثيثى والرِّمِّيَّا للتكثير" أقول[4]: يعني أنك إذا قصدت المبالغة في مصدرٍ الثلاثي بنيته على التَّفعال وهذا قول سيبويه، كالتَّهذار في الهذر الكثير والتلعاب والترداد وهو مع كثرته ليس بقياس مطرد، وقال الكوفيون: إن التفعال أصله التفعيل الذي يفيد التكثير قلبت ياؤه ألفاً. فأصل التكرار التكرير، ويرجَّح قول سيبويه بأنهم قالوا التَّلعاب ولم يجئ التلعيب، ولهم أن يقولوا إن ذلك مما رفض أصله، قال سيبويه: وأما التبيان فليس ببناء مبالغة وإلا انفتح تاؤه بل هو اسم أقيم مقام مصدر بيّن كما اقيم غارة مقام إغارة في قولهم أغرت غارة ونبات موضع إنبات وعطاء موضع إعطاء في قولهم أنبت نباتاً، وأعطى عطاءً".[5]

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج٢ ص٩٢.

(٢) المزهر ١٣٩/٢.

(٣) أي ابن الحاجب

(٤) أي الشارح الشيخ رضى الدين الاسترابادي.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب ١٦٧/١.

أولاً: مصادر (تَفعال) المستدركة على البحث.

١- أثم / تَأثام.

جـــاء هذا المصدر في مَثَلٍ رواه المفضل الضبي في (أمثال العرب) ورواه الميدانـــي في (مجمع الأمثال)، ومما جاء في قصته "أن مجاشعَ بنَ دارمٍ وَفَـــدَ علـــى بعض الملوك فكان يسامرُه، وكان أخوه نهشلُ بنُ دارم رجـــلاً جميلاً، ولم يك وفّاداً على الملوك. فقال (الملك): أَوْفِدْه، فلما أَوْفَدَه اجتهره ونظر إلى جماله، فقال: حدثني يا نهشل. فلم يُجِبْه. فقال له مجاشع: حَـــدّثْ الملـــكَ. فقـــال: إني والله لا أحسن تَكْذابك وتَأْثامَكَ، تشول بلسانك شَـــوَلان البَروق[1]" فأرسل شَوَلانَ البَروق مثلاً. والبَروق الناقةُ التي تشول بذنبها تُري أهلها أنها لاقح وليست بلاقح.والمثل يضربه مَنْ قل كلامه لمن يكثر كلامه.

٢- أسي/ تَأساء.

قال الغِرْبَان بنُ سهيل النبهاني، من طيئ.

أقـــولُ للـــنفس تَأْســـاءً وتَعْـــزِيَةً إحـــدى يَـــدَيَّ أصـــابتني ولم تُرِدِ
كلاهُمـــا خَلَـــفٌ مِـــنْ فَقْدِ صاحِبِه هـــذا أخي حين أدعوه وذا وَلَدي [2]

---

(١) مجمع الأمثال ج٢، ص٢١٩.

(٢) الحماسة البصرية، ص١٣٥.

٣- بكر/ تَبكار

ورد هـذا المصدر على لسان سَوادِ بنِ قارِبٍ حينَ وَفَدَ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي قصة طويلة طريفة، يمكن قراءتها كاملة في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي.

عَجِـبْتُ للجِـنّ وتَـبْكارِها وَشَـدّها العِـيسَ بِأَكْـوارِها
تَهْـوي إلـى مَكّـةَ تَبْغي الهُدى مـا مُؤْمـنو الجِـنَّ كَكُفّارِهـا
فارْحَـلْ إِلـى الصَّفْوَةِ مِنْ هاشِمٍ بَـيْنَ رواسِـيها وَأَحْجارِهـا[1]

٤- جال/ تَجوال

ذكـره سيبويه، مع مصادر أخرى على الوزن نفسه (تَفعال) في باب (مـا تُكَثّرُ فيه المصدرَ من فَعَلْتُ) فتلحق الزوائد وتبنيه بناءً آخر، كما أنك قلت في فَعَلْتُ فَعّلْتُ حين كَثّرْتَ الفعل، وذلك قولك في الهذْر التَّهْذارِ، وفي اللعـب: الـتَّلْعاب، وفي الصَّفْق التَّصْفاق، وفي الرَدّ التَّرْداد وفي الجَوَلان التَّجْوال والتَّقْتال والتَّسْيار. [2]

وقـال فـي لسـان العرب: وجال في التَّطْواف يجولُ جَوْلاً وجَوَلاناً وجؤُولا... والتَّجوال التطواف.

وجـاء في تاج العروس: وجَوّل تَجْوالاً- عن سيبويه- قال: والتَّفعال بناء موضوع للكثرة. وفي الباب جال تَجوالاً.

---

(١) جمهرة أشعار العرب، ج١ ص١٧٣.

(٢) كتاب سيبويه ٤/٨٣-٨٤.

٥- حمل/ تَحمال.

قال الأعشى:

أَوْكُــنْ لهــا جَمَــلاً ذَلولاً ظَهْرُهُ احْمِــلْ وكُــنْتَ معاوِداً تَحْمالها.[١]

٦- خبر/ تَخبار

ورد هــذا المصدر على لسان سَوادِ بنِ قارِبٍ في أثناء الحوار الذي جرى بينه وبين عُمَرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه.

يقول: "فقلت: تَنَحّ عني فإني ناعس، فولّى عني وهو يقول:

عَجِــبتُ للجــنّ وَتخْــبارِها وَشَــدّها العــيسَ بأقْــتَابِها[٢]

تَهــوي إلــى مَكّــةَ تَبغِي الهُدى مــا مؤمــنو الجِــنّ ككُفّارِهــا

فارْحــلْ إلــى الصَّفْوة مِنْ هاشِمٍ لَــيْس قُــداماها كأذْنَابهــا

٧- سخن/ تَسْخان

جاء في المزهر: قال ابن مكتوم وزادوا عليه -أي ما ورد على وزن تِفعال بكسر التاء-.. والتِّسخان للخُفّ. لكن الفتح فيه أكثر. [٣]

---

(١) ديوان الأعشى، ص٨١.

(٢) جــاء في رواية كتاب (خيال العرب) ص٣٤، نقلاً عن جمهرة أشعار العرب. وقد رأينا في مصدر (تطراب) اختلافاً يسيراً في الرواية، ويبدو أن هذه الرواية غير دقيقة، يظهر من اختلاف الكلمتين في العروض والضرب.

(٣) المزهر، ج٢ ص١٣٨.

٨- صفق/ تَصفاق

ذكرها سيبويه في نصه السابق[١] وقال في تاج العروس: "والتَّصفاق بالفتح مصدر صَفَقَ صَفْقاً... قال السيرافي يجوز أن يكون من صَفَقَ الكف على الأخرى وهو التَصْفاق وتَذْهَبُ به إلى التكثير".

٩- طرب/ تَطراب

وعلى لسان سَوادِ بن قارب أيضاً ورد هذا المصدر في القصة نفسها التي أشير إليها قبل قليل في المصدر (تَبَكَار).

عَجْبتُ لِلْجِنِّ وَتَطْرابِها وَشَدِّها العِيسَ بأَقْتابِها
تَهْوي إلى مَكَّةَ تَبْغِي الهُدَى ما مُؤْمِنو الجِنّ كَكُفّارِها
فارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هاشِمٍ لَيْسَ قُداماها كَأَذْنابِها

١٠- طاب/ تَطْياب.

جاء في تاج العروس: "طاب الشيء يطيب طاباً وطيبا – بالكسر– وطيبة –بزيادة الهاء– وتَطْياباً– بالفتح لكونه مُعتلاً، وأما من الصحيح فبالكسر كتَذكار وَتطْلاب وَتضْراب ونحوها، صرّح به أئمة الصرف.

١١- فضل/ تَفضال.

قال الأعشى يمدح سلامة ذا فائش:

قَلَّدْتُكَ الشِّعْرَ يا سَلامَةَ ذا الـ ـتَفْضالِ والشَّيءُ حيثُما جُعِلا.[٢]

---

(١) انظر المصدر (تجوال) من هذا البحث.

(٢) ديوان الأعشى، ص٢٨٥.

١٢- كر/ تَكرار.

جـــاء في تاج العروس، كرّ عليه يكرّ كَرا وكُروراً (كقُعود) وتَكراراً (بالفـــتح) عَطَف. وكَرّره تكريراً وتَكْراراً. ونجد في مادة (كرّ) هنا تفريقاً لطيفاً بين التوكيد والتكرار.

١٣- لعب/ تَلعاب.

ذكـــره ســـيبويه في النص نفسه الذي أثبتناه عند المصدر (تجوال). واعـــتمدت علـــى هذا النص معظم المعاجم الكبرى. جاء في تاج العروس (مـــادة لعـــب): "والـــتَّلْعابُ اللعب صيغةٌ تدلُ على تكثير المصدر... قال ســـيبويه: هـــذا باب ما يُكَثّر فيه المصدر... ثم ذكر المصادرَ التي جاءت علـــى الـــتَّفعّال كالـــتَّلعّاب وغيـــره". وقال أيضاً: تَلْعاب وتَلْعابة (يكسران ويفتحان)، وتلعّابٌ وتِلعّابَةٌ بالكسر وتشديد العين فيهما. قال: وفي الصحاح رجـــل تِلعّابَةٌ وفي نسخة التهذيب مضبوط بالتشديد والكسر إذا كان يتلعب وكان كثيرَ اللعب.

١٤- هذر / تَهذار.

يقول سيبويه في باب " ما تكثّر فيه المصدر من فَعَلْتُ، فتلحق الزوائد وتبنـــيه بـــناءً آخر، كما أنك قلت في فعَلْتُ فَعَّلْتُ حين كثّرت الفعل وذلك قـــولك في الهذْر التهذار..."[١] ويؤيد السيرافي هذا الرأي فيقول في شرحه للكـــتاب "اعلـــمْ أنَّ ســـيبويه يجعل التَّفعال تكثيراً للمصدر الذي هو للفعل الثلاثي. فيصير التَّهذار بمنزلة قولك الهَذَر الكثير..." [٢]

---

(١) كتاب سيبويه ج٤، ٨٣-٨٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٤.

ثانياً: شواهد (تَفعال) المستدركة على البحث.

أُوردُ فيما يلي بعضَ الشواهد التي وقفتُ عليها على بعض مصادر (تَفعال) الواردة في البحث، أسجلها هنا لتضاف إلى مصادرها:

١- تَذراف.

لَئِنْ قَطَعَ البأسُ الحنينَ فإنه رَقوءٌ لتَذْرَاف الدُّموع السّوافِكِ

رواه أبو بكر الأصفهاني في كتابه الزُّهْرة، وذكر محققه إبراهيم السامرائي أن الأبيات لذي الرمة. (١)

٢- تَسكاب.

عَيْنُ جودي بِدَمْعَةٍ تَسْكاب للنَّبِيِّ المُطَهَّرِ الأَوّاب

لِصَفِّية بنتِ عبدالمطلب، وَرَدَ في كتاب "شعر في رسول العالمين من غير أصحاب الدواوين". (٢)

٣- تَطلاب.

عَجِبْتُ للجِنّ وتَطْلابِها وشَدّها العِيسَ بأَكْوارِها
تَهْوي إلى مكّةَ تَبْغي الهُدى ما مؤمنو الجِنّ ككُفّارِها
فارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِن هاشِمٍ بَيْنَ رَوابيها وأَحْجارِها (٣)

---

(١) ديوان ذي الرمة، ج٣ ص١٧٢٤ وانظر أيضاً الزهرة ج١/٣٦٥.

(٢) شعر في رسول العالمين من غير أصحاب الدواوين، ص ١٢.

(٣) خيال العرب، ص٣٤.

وقد ذكر الأستاذ المعيبد هذا البيت برواية أخرى، هي

عَجِبْتُ للجِنّ وَتَطْلابِهَا وَرَحْلِهَا العِيسَ بِأَقْتابِها

وقد وَجَدْتُ هذا البيت مُصَحَّفاً عن رواية أخرى، في قصة سَوادِ بنِ قارِبٍ حين وَفَدَ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر – ما بقي من كَهانتك؟

وهي قصة طويلة، تروي الأبيات نفسها بقوافٍ مختلفة، ومنها قول سِوار في سياق القصة:

عَجِبْتُ للجِنِّ وَتَخْبارِها وَشَدّها العِيسَ بأَقْتَابِها
تَهْوي إلى مَكَّةَ تبغي الهُدى ما مؤمنو الجِنّ كَكُفّارِها
فارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِن هاشِمٍ لَيْسَ قُداماها كأَذْنابِها

وأظن أن القصّةَ تحتاجُ إلى تحقيق، وليس بعيداً أن تكون رواياتٍ اختلط بعضها ببعض، وهي في الأصل رواية واحدة.

وقد ذُكِرَتْ هذه القصّةُ في كتاب خيالِ العرب للسيد حسن مغنية نقلاً عن جمهرةَ أشعار العرَب لأبي زَيد القرشي.

٤- تَعداء.

قُبِّ البُطونِ من التَّعْداءِ قَدْ عَلِمَتْ أنْ كُلُّ عامٍ عليها عامُ إلْجام

قالَه الحطيئة، كما ذكر في الحماسة البصرية ولكني لم أجده في ديوانه.(١)

---

(١) الحماسة البصرية، ص٥٠٣.

المصادر والمراجع

- تـــاج العـــروس، محمـــد مرتضـــى الزبيدي، دار صادر، بيروت، تصويراً عن طبعة المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هجرية.
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد القرشي، حققه وعلّق عليه د. محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.
- الحماســـة البصـــرية، صـــدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصـــري، تحقيق د. عادل جمال سليمان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٨.
- خـــيال العـــرب، حســـن مغنية، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١.
- ديـــوان الأعشـــى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٩٨٣.
- ديـــوان الحطيئة، شرح د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢.
- ديـــوان ذي الـــرمة، شـــرح الإمام أبي نصر الباهلي، رواية الإمام ثعلـــب، حققـــه وقدم له د. عبدالقدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.

- شـــرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضى الدين الاستراباذي، تحقيق محمـــد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٩٧٥.

- شعر في رسول العالمين من غير أصحاب الدواوين جمع وتحقيق، د. محمـــد الأطـــرش، دار المعالي، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١/.

- كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٩٨٣.

- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرّم الأنصاري، ابن منظور، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٦٣، تموز – كانون الأول ٢٠٠٢.

- مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، منشورات دار النصر، بيروت ودمشق.

- المزهـــر فـــي علوم اللغة وأنواعها، عبدالرحمن السيوطي، شرحه وضـــبطه محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر.